الحرب النفسية
في ضوء القرآن الكريم

د . معن بن عبد الحق عارف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي جعلنا من خير أمة أخرجت للناس وألبسنا لباس التقوى خير لباس ، أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضي لنا الإسلام دينا . أعز الإسلام بنصره ، وأذل الشرك بقهره ، وصرف الأمور بأمره .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، ما ترك خيرا إلا ودل أمته عليه ولا شرا إلا وحذرها منه ، فجزاه الله خير ما جزى به نبيا عن أمته ، صلى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا إلى يوم الدين

أما بعد :

فإن أهمية موضوع الحرب النفسية تكمن في الظروف التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم من حيث المواجهة النفسية ، حيث إن الحرب النفسية التي يواجهها المسلمون اليوم تشبه إلى حد بعيد الحرب النفسية التي عاشها المسلمون الأوائل في صدر الإسلام ، فالحرب العسكرية الحديثة اليوم تعتمد ـــ قبل شن أي هجوم عسكري بالآلة العسكرية ـــ على الحرب النفسية لتدمير الروح المعنوية وشل إرادة العدو، والإسلام وأبناءه اليوم يواجهون حربا نفسية عاتية ، خطط لها ، وروج لها وقام وراءها قوى كبيرة وكثيرة ، هدفها الأساس هو القضاء على شوكة الإسلام وأبناء المسلمين .

وقد واجه المسلمون في صدر الإسلام الحرب النفسية وخططوا لها وعملوا بها في شتى جبهات القتال حتى استطاعوا أن يحققوا أكبر انتصارات عسكرية عرفها التاريخ .

لقد أرست الشريعة الإسلامية جميع الأسس والمبادئ والدعائم الأساسية لحياة المسلمين في السلم والحرب، واستطاع أبناء الإسلام الانتصار في شتى المجالات وبناء حضارة إسلامية واسعة الأرجاء، حتى أصبح الإسلام واقعا معترفا به حتى من ألد أعدائه ، فقد أظهر أبناء الإسلام صلابة وتمسكا بمبادئهم، وحبا لرسولهم صلى الله عليه وسلم ، وصمودا أمام كل التحديات والقوى التي واجهتهم.

أن الشريعة الإسلامية مليئة بأنواع وأساليب ووسائل القتال الحديثة ، ومن ضمن هذه الوسائل والأساليب الحرب النفسية . والتي استطاع بها المسلمون أن يواجهوا الحرب النفسية الشرسة بحرب نفسية أخرى مضادة لها ، نجحت في تحقيق أهدافها وقضت قضاء مبرما على دول الكفر في شتى البلاد . وعلى قادة الأمة ومفكريها ورجالاتها أن يعلموا أن الشريعة الإسلامية

شريعة صالحة لكل زمان ومكان وأن العزة والكرامة والنصر لأمة الإسلام في التمسك بكتاب ربها ، وسنة نبيها ﷺ، ومنهج سلفها الصالح رحمهم الله ورضي عنهم .

وموضوع الحرب النفسية من المواضيع المتجددة في الساحة، لأن الصراع بين الخير والشر والحق والباطل مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولذا فإن من واجب الباحثين والدعاة إلى الله وطلاب العلم في كل البلاد أن يبذلوا جهدهم ويستفرغوا وسعهم في كشف وفضح وسائل وأساليب أعداء الله التي يصدون بها عن سبيل الله ويحاربون بها أهل الإسلام، وبيان موقفهم من الإسلام وموقف الإسلام منهم ، لنكون جميعا على بينة من الأمر.

الحرب النفسية في ضوء القرآن الكريم

أولا: الحرب لغة:

حاربه محاربة وحِرابا: قاتله، وحارب الله: عصاه. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ ﴾ [المائدة: ٣٣]. والحرب القتال بين فئتين، وهي مؤنثة، وتذكر على معنى القتال(١). وجمعها حروب، ورجل حرب: شديد الحرب شجاع(٢). والحَرْب مشتقة من الحَرَب وهو السَّلْب : يقال حَرَبْتُه ماله، وقد حُرِب مالَه، أي سُلبه، ويقال أسدٌ حَرِبٌ، أي من شدة غضبه كأنه حُرِب شيئاً أي سُلبه (٣). قال بعض أهل اللغة: الحرب هو الترامي بالسهام ثم المطاعنة بالرماح ثم المجاهدة بالسيوف ، والتحريب إثارة الحرب(٤).

ثانيا: الحرب في الاصطلاح:

الحرب هي القتال عموما، والحرب صراع مسلح بين دولتين أو فريقين يكون الغرض منها الدفاع عن حقوق ومصالح الدول المتحاربة(٥). والحرب العادلة هي التي توجه ضد شعب ارتكب ظلما نحو شعب آخر لم يشأ رفعه، ويشترط فيها أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية

(١) انظر الموسوعة العربية (١٦٢/٩)

(٢) انظر القاموس المحيط الفيروز آبادي مادة (حرب)

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤٠)

(٤) انظر تاج العروس للزبيدي (٢٠٥/١)

(٥) انظر : آثار الحرب في الفقه الإسلامي وهبة الزحيلي (٣٥)

وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ، كما يشترط فيها وجوب احترام حياة الأبرياء وأملاكهم، وحسن معاملة الأسرى والرهائن(١).

وقد وردت كلمة الحرب في القرآن الكريم أربع مرات قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[البقـــرة: ٢٧٩]، وقـــال: ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ [المائـــدة: ٦٤]، وقـــال: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنفـــال: ٥٧]، وقـــال تعـــالى: ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد: ٤]، وكلمة الحرب في القرآن الكريم ترتبط بمصطلح إسلامي خاص وهـــو (الجهـــاد)، فبين المصطلحين علاقة، إذ الجهاد مبدأ إسلامي تكليفي، يتضمن الدعوة إلى الإسلام بشكلين

ـــــ الدعوة باللسان. (منهجاً)

ـــــ الدعوة بالقتال. (ضرورة)

وأما الحرب فهي مطلق القتال، الاختياري منه والإجباري، وهو بديل حتمي عن الجهاد الذي هو دعوة، بعد أن يُدرك عدم الجدوى من الدعوة، وهنا يكون القتال فعلا قاسيا ظاهراً، إلا أنـــه موظف بما ينسجم مع الكون، لأننا نستخدمه كما أمرنا ربنا تبارك وتعالى للقضاء على الفتنـــة وعبودية غير الله وهو باب لا يفتح الإسلام بابه ولا يهيج ناره إلا أن يجد واقعا لا مفر منه من أصحاب الكفر والشرك والأهواء والمطامع والبغي والظلم والعدوان والإفساد في الأرض، فـــلا بد هنا من الحرب لردع المعتدي وكف الظلم ونصرة المظلوم وإظهار الحق، وهنا تكون الحرب فضيلة ومن أسمى الفضائل.

ومن خلال استعراض آيات القرآن الكريم يتبين لنا أن أسباب الحرب أربعة:

١.رد العدوان والدفاع عن الدين النفس والوطن والمال، قال تعـــالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤]. وأول آيـــة نزلت من آيات القتال فيها الإذن بالقتال في قولـــه تعـــالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحج: ٣٩].

(١) انظر : الرسول القائد اللواء محمود شيت الخطاب (٣٩)

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي، قال: **فلا تعطه مالك.** قال: أرأيت إن قاتلني، قال: **قاتله.** قال: أرأيت إن قتلني، قال: **فأنت شهيد،** قال: أرأيت إن قتلتُه، قال: **هو في النار**" [١].

وروى الترمذي من حديث سعيد بن زيد [٢]ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، من قتل دون أهله فهو شهيد**" [٣].

٢. الدفاع عن الدعوة الإسلامية، وتأمين حرية الدين والاعتقاد، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَـٰعُواْۚ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

٣. تأديب ناكثي العهد بموجب قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢].

٤. درء الفتنة التي يحاول أعداء الدين إشعال نارها بين صفوف المسلمين، وذلك استنادا إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

ثالثا: الحرب النفسية بالمفهوم الإسلامي:

الحرب النفسية قديمة قِدم الجنس البشري نفسه، ومع ذلك لم نجد في المعاجم العربية تعريفا لغويا للحرب النفسية، إلا أن علماء اللغة أشاروا إلى هذا المعنى بوصف غير مباشر في مادة (رجف) قالوا: والرجف الاضطراب الشديد، وأرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن. والمرجفون هم الذين يولِّدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب الناس[٤]. قال الله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٠].

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه برقم (٢٠١) .

(٢) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشي ابن عم عمر بن الخطاب وزوج أخته فاطمة ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، كان ﷺ مجاب الدعوة . توفي بالعقيق سنة خمسين للهجرة وهو ابن بضع وسبعين سنة . أنظر في ترجمته : أسد الغابة (٣٢٥/٢) .

(٣) رواه الترمذي في كتاب الديات باب ماجاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد برقم (١٣٤١) .

(٤) انظر لسان العرب ، ابن منظور، مادة (رجف).

ولعل أوضح مفهوم للحرب النفسية يتجلى في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٧-٦٠].

أي: فإذا وجدتهم في حال المحاربة بحيث لا يكون لهم عهد ولا ميثاق، وأظفرك الله عليهم وأمكنك منهم وكانت الغلبة لك، فشرد بهم من خلفهم، أي: نكل بهم، قاله ابن عباس والحسن البصري والضحاك والسدي وغيرهم، ومعناه غلظ عقوبتهم وأثخنهم قتلا ليخاف من سواهم من العداء عربهم وعجمهم وليصيروا بذلك عبرة لمن خلفهم ــ لعلهم يتذكرون(١).

والتشريد في اللغة التبديد والتفريق يقال شردت بني فلان أي قلعتهم عن مواضعهم وطردتهم عنها حتى فارقوها(٢).

ثم بعد ذلك أمر الحق تبارك وتعالى بإعداد القوة ، وهو كل ما نقدر عليه من قوة مادية ومعنوية، فيدخل في ذلك جميع الصناعات الحربية والآلات العسكرية من طائرات ومدافع ودبابات وغيرها كما يدخل فيها أيضا الإعداد بالسياسة والفكر والرأي وهو ما يمثله الجانب المعنوي، وهو الذي نعني به الحرب النفسية ، وهذا الإعداد لأجل هدف كبير في كسب الحرب بداية ، وهو إلقاء الرعب والرهبة والخوف في قلوب الأعداء، ترهبون به عدو الله وعدكم، ومن هنا يقول ﷺ: " **نصرت بالرعب مسيرة شهر**"(٣).

وليس المراد بالخصوصية مجرد حصول الرعب بل هو ما ينشأ عنه من الظفر والنصر على العدو(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣١ــ٣٦) فتح القدير للشوكاني (٣٩٦/٢) تفسير ابن كثير (٤٢٢/٢ــ٤٢٣) .

(٢) انظر : القاموس المحيط مادة (شرد)

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : نصرت بالرعب مسيرة شهر برقم (٢٩٧٧)

(٤) انظر : انظر إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني (٤٥٤/٦) .

خامسا : أهمية الحرب النفسية للأمة الإسلامية:

إن هذا الموضوع الذي سنتطرق إليه ــ إن شاء الله ــ من أخطر موضوعات الساعة على الصعيدين المحلي والعالمي، يلاحظ ذلك كل من له أدنى بصيرة بالواقع المعاصر مدنيا كان أم عسكريا، فالقوى العالمية وفي فترات متفاوتة جمدت الصراع المادي واستبدلته بالحرب النفسية أو ما يسمونه بالحرب الباردة، لتكسر أولا معنويات أعدائها وتقتل إرادتهم وتشل عزيمتهم قبل أن تنال منهم بقليل أو كثير.

وأما على الصعيد المحلي فإن أخطر الهزائم والنكبات على أمة الإسلام، عندما تنسحق المعنويات وتنشل الإرادات، فيخاف الجريء ويتجرأ الرعديد ويذل القوي ويقوى الذليل. وما تلك الحفنة والشرذمة من شُذاذ الآفاق ومشردي العالم من بني صهيون، إلا أكبر دليل على خطر الحرب النفسية على الأمة الإسلامية.

و لنلق بأسماعنا وأبصارنا إلى قول الحق تبارك وتعالى وهو يبين أهمية إلقاء الرعب في القلوب قبل التمكن من الجند في الحصون.

يقول الله تعالى: ﴿ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال: ١٢].

ويقول سبحانه: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٦].

ويقول جل وعلا: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

ولاحظ الظاهرة المطردة في ترتيب قتل العدو ودحره وأسره واحتلال دياره ، كل ذلك ترتب على هزيمته النفسية والتي عبر عنها القرآن بأبلغ بيان وهو(قذف الرعب في القلوب).

ولقد نوه القادة والزعماء عربهم وعجمهم بأهمية الحرب النفسية وأثرها في إدارة الصراع وفي نتائجه. يقول القائد الألماني روميل[1]: (إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم)[2].

---

(١) عسكري ألماني من أشهر قادة الحرب العالمية الثانية وهو فليد مرشال أورين روميل، التحق بكلية أركان الحرب وعمل أستاذا بها واشترك في الحرب العالمية الأولى وأصاب شهرة بانتصاراته ضد الإيطاليين .انظر: القاموس السياسي. أحمد عطية الله (٥٧٨).

(٢) اقتباس النظام العسكري . اللواء محمود شيت الخطاب (١٤٧) .

وعندما أرسل عمرو بن العاص[١] أثناء فتوحه في مصر إلى عمر بن الخطاب ﷺ يطلب المدد، أرسل إليه أربعة آلاف على رأسهم أربعة من كبار الصحابة: الزبير[٢]، وعبادة بن الصامت[٣]، ومسلمة بن مخلد [٤]، والمقداد بن الأسود [٥]، وجاء في كتاب الفاروق ﷺ: لقد أمددتك بأربعة آلاف، وعلى رأس كل ألف منهم رجل بألف رجل[٦].

ولئن كانت المعنويات لكل إنسان مرتكزه وأساسه في نجاحه، فهي في الحياة العسكرية ألزم والجندي لها أحوج، والقوات المسلحة لها مصدران للقوة، مصدر معنوي ومصدر مادي، والمصدر المعنوي للقوة أهم بكثير من المصدر المادي، ولإحراز النصر يجب توجيه ضربات نفسية قوية إلى معنويات العدو باعتبارها من مصادر القوة لديه.

وإن أفضل سلاح لتوجيه الضربات النفسية للعدو هو الحرب النفسية، وإن أعظم درجات المهارة هي تحطيم مقاومة العدو دون قتال[٧].

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، أبو عبد الله ، داهية قريش هاجر مسلما في أوائل سنة ثمان مرافقا لخالد بن الوليد ، ولاه النبي صلى الله عليه وسلم على جيش ذات السلاسل ، وكان من أبطال قريش ومن فرسانهم في الجاهلية ، ولاه عمر فلسطين والأردن ومصر حتى مات بها . أنظر السير (٣/٥٤ــــ٧٧) .

(٢) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، أبو عبد الله حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة من أهل الشورى وأول من سل سيفه في سبيل الله ، أسلم وهو ابن ستة عشر سنة قتله ابن جرموز وهو ابن أبع وستين سنة . أنظر في ترجمته سير أعلام النبلاء للذهبي (١ / ٤١) .

(٣) هو عبادة بن الصامت بن قيس ، أبو وليد الأنصاري ، أحد النقباء ليلة العقبة ومن أعيان البدريين شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن بيت المقدس ومات بالرملة سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . أنظر السير (٢/ ٥ ــــ١١) .

(٤) هو مسلمة بن مخلد بن الصامت الأنصاري الخزرجي الساعدي كان مولده حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة شهد فتح مصر استعمله معاوية على مصر والمغرب توفي سنة اثنتين وستين بالمدينة وقيل في آخر خلافة معاوية وقيل مات بمصر . أنظر أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤/ ١٢٩) .

(٥) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة ، المعروف بالمقداد بن الأسود ، من السابقين إلى الإسلام هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي بالمدينة في خلافة عثمان رضي الله عنه وله من العمر سبعين سنة . أنظر أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤/ ١٨٤) .

(٦) انظر : تاريخ ابن جرير الطبري (٤/٢٢) ، الكامل في التاريخ ، ابن الأثير (٢/٥٦٤) ، الفتوح الإسلامية عبر العصور د. عبد العزيز العمري (١٤٣) .

(٧) انظر الحرب النفسية . أحمد نوفل (٥٧) . اقتباس النظام العسكري . اللواء محمود شيت الخطاب (١٤٦)

سادسا: الحرب النفسية في القرآن الكريم

القرآن هو: كلام الله المنزل على محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته[١].

وهو معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخا في الإعجاز، أنزله الله تبارك وتعالى على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

لقد بهر القرآن الكريم العرب بأسلوبه ونظمه ووجوه إعجازه فكان أقوى سلاح لدى المسلمين، طغى على الشعر وطغى على كل حديث فكان أكبر دعاية للمسلمين وأسرع انتشارا وأكثر تأثيرا في النفوس وجذبا للقلوب، ولقد استخدم القرآن الكريم أساليب متعددة لإقناع المستقبلين للرسالة بفحواها ولدعوة العالمين للعمل بمضمونها وتصديقها، وقد استخدم القصة، والأخبار، والتربية، والتثبيت، والتعليم. كما استخدم الحوار والتكرار لتثبيت القيم والمبادىء، فالقرآن الكريم كان ولا يزال هو الوسيلة الفاعلة في التأثير في النفوس، حيث استطاع الوصول إلى أعماق النفوس البشرية، وما قصة إسلام عمر بن الخطاب ﷺ عنا ببعيد، حيث أثر فيه القرآن وجعله ينصاع إلى الإسلام ويسرع إلى رسول الله ﷺ لإعلان إسلامه.

ولذلك فقد عمد ﷺ في تبليغ دعوته للناس على إقراء القرآن الكريم، وقد كان مبعوثوه إلى مختلف الجهات يقومون أول ما يقومون بإقراء الناس القرآن ، فهو أول أساليب الإعلام في الإسلام، روى البخاري[٢] في صحيحه من حديث البراء: أن أول من قدم علينا المدينة من أصحاب النبي ﷺ مصعب

---

(١) انظر : مباحث في علوم القرآن مناع خيل القطان (٢١) . " فالكلام " جنس في التعريف ، يشمل كل كلام، وإضافته إلى الله يخرج كلام غيره من الجن والإنس والملائكة. و"المنزل " يخرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه، قال تعالى: " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا " وقوله تعالى: " ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ". وتقييد المنزل بكونه على محمد ﷺ يخرج ما أنزل على الأنبياء من قبله كالتوراة والإنجيل . و"المتعبد بتلاوت " يخرج قراءات الآحاد والأحاديث القدسية ــ إن قلنا أن ألفاظها منزلة من عند الله ــ لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك.

(٢) هو محمد بن أسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري أمير المؤمنين في الحديث وأمام الدنيا في علم الحديث صاحب كتاب الصحيح أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى أتفقت الأمة على صحته، ولد سنة ١٩٤ هـ، وأثنى عليه أهل العلم بما يطول ذكره وحصره، وتوفي سنة ٢٥٦هـ بخرتنك قرية قرب سمرقند. انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء (١٢ / ٣٩١ ـــ ٤٧١).

بن عمير وابن أم مكتوم[١] رضي الله عنهما فجعلا يقرئاننا القرآن[٢]. وكان مصعب ﷺ يسمى المقرىء وكان الرجل من المسلمين إذا هاجر إلى المدينة دفعه النبي ﷺ إلى رجل من الحفظة ليعلمه القرآن، ولما فتح ﷺ مكة خلّف عليها معاذ بن جبل[٣] ﷺ يقرئهم القرآن الكريم[٤]. وقد جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا ابعث معنا رجالا يعلموننا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار عرفوا بالقراء[٥]. وهذا يدل على أن القرآن الكريم هو من أقوى الوسائل الفعالة والمؤثرة في النفوس، وليس في نفوس المؤمنين فحسب بل حتى في نفوس أعداء الإسلام حيث كان القرآن الكريم من أقوى وسائل الحرب النفسية والأسلحة المؤثرة في الأعداء.

لقد كان القرآن الكريم بالنسبة لأعداء الإسلام حربا نفسية زعزعت نفوسهم وكشفت مخططاتهم حيث يخبر الله تعالى رسوله ﷺ بخفايا نواياهم وفي سرهم وعلنهم، فكانوا يحذرون أشد الحذر من كل خطة يخططون لها ضد المسلمين أن يكشف الله أمرهم فيها، لقد شعر أعداء الإسلام أن القرآن الكريم أقوى سلاح يملكه المسلمون، كيف لا والقرآن الكريم لم يزل يفضح المنافقين الذين يتسترون بالدين الإسلامي وخاصة في سورة التوبة والتي تسمى أيضا بالفاضحة، حيث ذكر الله تعالى أوصافهم حتى ظن أولئك المنافقون أن ينزل القرآن بأسمائهم، كما أنزل الله تعالى سورة المنافقون لتتحدث عن مخازي هذه الجماعة وتكشف أمرهم.

إن القرآن الكريم نزل متحديا كل المخالفين من يهود ومنافقين وكفار، بل وفاضحا لهم يكشف نواياهم ويفضح أسرارهم ، من ذلك ما حدث من كشف أمر بعض المنافقين عن تخلفهم لمرافقة النبي

---

(١) هو عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشي العامري ، وأمه أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله بن عنتكة المخزومية ، وكان ضريرا مؤذنا لرسول الله ﷺ مع بلال ، وفيه نزل قول الله تعالى " عبس وتولى أن جاءه الأعمى " وقوله تعالى " غير أولي الضرر " . وكان يغزو ويقول "ادفعوا اليّ اللواء فإني أعمى لا أفر وأقيموني بين الصفين " قال أنس رأيت ابن أم مكتوم يوم القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع له .

أنظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء للذهبي (١ / ٣٦٠) . أسد الغابة (٤/ ٢٦٣) . الإصابة في تمييز الصحابة (٧ / ٨٣)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة برقم (٣٩٢٤) .

(٣) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس ، الأنصاري ، يكنى بأبي عبد الرحمن ، شهد العقبة وبدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، ومن أعلم الأمة بالحلال والحرام ، بعثه صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضيا ومعلما ، توفي في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ .

أنظر في ترجمته : أسد الغابة (٤ / ٤١٨) . الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٧٠) .

(٤) الإعلام الإسلامي إبراهيم إمام (٦٢) ..

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب القنوت في جميع الصلاة برقم (٦٧٧)

ﷺ قبل صلح الحديبية[1] قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ ﴾ [الفتح: ١١].

فلم يكن لهذه الانهزامية أي أثر على نفوس المؤمنين الذين لم يكادوا يسمعوا صوت الاستنفار إلا وتسابقوا فرحين بنداء ربهم غير آبهين بما يقوله المنافقون والمرجفون والمخذِّلون.

ولقد تحدث القرآن الكريم بعد ذلك عن صلح الحديبية وأشاد به وبمكاسبه العظيمة وأن هذا الصلح هو أعظم نصر للإسلام عندما وصفه بأنه فتح مبين.

لقد ندد القرآن الكريم بالمنافقين والمشركين في سورة الفتح كما أشار إلى تعنت قريش وتعصبها الجاهلي في صدها المسلمين عن المسجد الحرام . فكان القرآن الكريم وسيلة قوية في أيدي المسلمين دامغة لأعدائهم، يرد عليهم ويكشف أمرهم ويأمر المسلمين بالصبر والتحمل عند تحدي الجهلاء واستفزاز السفهاء.

لقد حاول أعداء الإسلام بكل الوسائل والسبل أن ينالوا من هذا الكتاب ليتخلصوا من هذا السلاح الفتاك الذي حطم كل أمل لهم من أن ينالوا من هذه الرسالة، فقالوا أساطير الأولين وقالوا سحر مفترى وقالوا أفك افتراه.. وهم يعلمون أنه الحق ولكن كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل: ١٤].

لقد استخدمت قريش ضد الإسلام والمسلمين كل وسائل الإرهاب وأساليب التهديد والمضايقة وإذاقة المسلمين التنكيلات والويلات وشنت عليهم حربا نفسية عاتية منذ أن كان المسلمون تحت يدها في مكة وحتى الهجرة، حيث صادروا أرضهم وديارهم وأموالهم وحالوا بينهم وبين أزواجهم وذرياتهم وأعلنوها حربا جديدة هي مزيج من الصدام المسلح على شكل غزوات وحروب نفسية حيث وجدت قريش أعوانا لها من داخل المدينة ومن خارجها يشدون من أزرهم لإنجاح تلك الحروب النفسية فكانت هناك جماعة من المنافقين وأخرى من القبائل اليهودية إضافة إلى مشركي العرب وكفارهم، ومع كل هذه التحزبات ضد الإسلام فإن القرآن الكريم يأتي ليرد على فئة من هؤلاء بأسلوب الحرب

(١) بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء، وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها وبينها وبين مكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم وقد اعتمر صلى الله عليه وسلم عمرة الحديبية ووادع المشركين لمضي خمس سنين وعشرة أشهر للهجرة النبوية. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/ ١٢٦).

النفسية وهو يقول: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٩]، ويقول أيضا: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[آل عمران:٧١].

فالله سبحانه وتعالى يبين لهم ما تخفي صدورهم ويخبر المؤمنين بذلك ليعيش أعداء الإسلام حربا نفسية بين أنفسهم، تحطم معنوياتهم وتزلزل كيانهم.

كما سعى المنافقون في بذل قصارى جهدهم في خذل المؤمنين والتخلي عنهم في وقت الأزمات في أثناء الحرب أو أثناء السلم ، ولكن القرآن الكريم يأتي كوسيلة قوية من أقوى الوسائل في الرد على أولئك المنافقين وزعزعة أمنهم وإحباط مكايدهم كما قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [ألتوبة: ٨١].

كما إن القرآن الكريم يأتي بالآيات الكريمات التي يرفع فيها من معنويات المؤمنين تسلية لهم تارة وتقوية لهم تارة أخرى. فيقول الله تعالى مسليا عباده المؤمنين: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[آل عمران: ١٤٠]. ويقول تعالى أيضا: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [النسا: ١٠٤]. كما إنه يرفع من معنويات المؤمنين بقوله: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. ويقول أيضا: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾[محمد: ٣٥]، ويقول سبحانه: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥]، ويقول: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

كل هذه الآيات وغيرها تأخذ بأيدي المؤمنين إلى الراحة النفسية قبل وبعد الحرب.

سابعا: أساليب الحرب النفسية في القرآن الكريم

لقد استخدم القرآن الكريم أساليب عديدة في كشف وبيان الحرب النفسية دفاعية كانت أو هجومية ، موجهة ضد المسلمين أو من المسلمين ضد أعداءهم، ومن هذه الأساليب:

١. **أسلوب الإشاعات:** الإشاعة: من شاع وانتشر، فشاع الخبر إذا ذاع ذاكره وانتشر، والإشاعات الأخبار المنتشرة، والرجل المشياع هو الذي لا يكتم سرا[١]. ويقال: شاع الخبر، إذا كثُر وقوي[٢]. فالإشاعة في اللغة: هي الانتشار والتكاثر، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور: ١٩].

فالشائعة هي الترويج لخبر مختلق، لا أساس له من الواقع، أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة أو إضافة معلومة كاذبة أو مشوهة لخبر معظمه صحيح، أو تفسير خبر صحيح والتعليق عليه بأسلوب مغاير للواقع والحقيقة، وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو العالمي، أو النوعي، تحقيقا لأهداف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو عسكرية على نطاق دولة واحدة أو عدة دول أو النطاق العالمي بأجمعه[٣].

والإشاعات سلاح من أهم أسلحة الحرب النفسية بل ربما كان أكثر هذه الأساليب أهمية ودلالة سواء في أوقات السلم أو الحرب، والشائعات أو الإشاعات اليوم غدت علما له قوانينه ونظرياته ودراساته ونتائجه التجريبية والواقعية، بحيث يمكن توجيهه في وجهة معينة لتحقيق أهداف ومطامع في إطار المفهوم الشامل للحرب النفسية.

ولعل من أخطر الإشاعات التي مرت على نبينا ﷺ، هي شائعة الإفك[٤]التي حاك أطرافها كبير المنافقين في وقته، عبد الله بن أُبي بن سلول ضد شخص رسول الله ﷺ ممثلا في زوجه أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قاصدين من وراء هذا الأسلوب من

---

(١) انظر لسان العرب ابن منظور مادة (شاع).

(٢) المفردات في غريب القرآن الراغب الأصفهاني (٢٧٣) .

(٣) الرأي العام والحرب النفسية مختار التهامي (١١٤) .

(٤) الإفك بمنزلة النجس، والنجس يقال: إفكهم وأفْكهم أَفَكهم فمن قال : أَفَكَهم، يقول: صرفهم عن الإيمان وكذبهم، كما قال تعالى: يؤفك عنه من أُفك، أي يُصرف عنه من صرف. انظر: إرشاد الساري شرح صحيح البخاري القسطلاني(٩ / ١٧٤).

أساليب الحرب النفسية أن يدمروا حياة رسول الله ﷺالعائلية، وأن يسقطوا مكانة أقرب النـــاس إليه، وأن يَدَعوا المسلمين يضطرون في عماية من الأسى والغم، تلك الشائعة التي تعتبر حدثَ الأحداث في تاريخه عليه الصلاة والسلام ، فلم يُمكر بالمسلمين مكرا أشد من إشاعة هذه الفرية التي مكث مجتمع المدينة بأكمله شهرا كاملا وهو يصطلي نارها(١).

٢ . **أسلوب المجادلة**: والجدل في اللغة: هو اللد في الخصومة والقدرة عليها ومراجعة الكلام(٢).

والجدال هو: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم ، وأصله مـــن جـــدلت الحبل : أي أحكمت فتله فكأن المتجادلين يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه(٣).

والجدل من طبيعة الإنسان كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾[الكهف: ٥٤].

وهذا الأسلوب من الحرب النفسية واجه به صلى الله عليه وسلم أعداء الإسلام، لأن النبي ﷺ جاء مبينا ومكملا للرسالات السابقة ومهيمنا على الدين كله بدين الإسلام كما جاءهم بعبادة الله وحده ونبذ كل ما يُعبد من دون الله، فكان يواجه ﷺ في ذلك جدلا عظيما. يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [التوبة: ٩٠-٩٣].

وقد كان جدل المشركين مع النبي ﷺ معاندة ومكابرة وتعجيزا، ولكن النبي ﷺ أبطل حججهم باعتصامه بالله وبالحلم والصبر على الأذى وخفض الجناح والرفق في المعاملة مما أبطل تلـــك الحجج والمخاصمات.

والقرآن الكريم قد اشتمل على جميع أنواع الحجج والأدلة التي تخضع لها رقـــاب المكـــابرين والمعاندين، كما أنه تناول كثيرا من الأدلة والبراهين التي حاجّ بها خصومه في صورة واضحة

(١) انظر: الإشاعة أحمد نوفل (١٢٨) .

(٢) انظر لسان العرب ابن منظور مادة (جدل) .

(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن مناع خليل القطان (٢٩٨) .

جلية يفهمها العامة والخاصة، مما أبطل كل شُبة فاسدة أثارها أعداء الإسلام، فوقف بصمود أمام نزعات مختلفة حاولت بالباطل إنكار حقائقه ومجادلة أصوله، فألجم خصومتهم بالحس والعيان ، وعارضهم في أسلوب مقنع واستدلال مُلزم وجدل مُحكم(١).

فمن ذلك المجادلة بالتي هي أحسن كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وكما قال سبحانه أيضا: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وهكذا كان يواجه ﷺ هذا الأسلوب من أساليب الحرب النفسية بما يفحم أعداءه ويكبتهم ويدحض حجتهم.

٣. أسلوب السخرية والاستهزاء: السخرية من السخر: السين والخاء والراء، أصل مطرد مستقيم يدل على الاحتقار والاستذلال(٢). والاستهزاء من الهُزأ: الهاء والزاء والهمزة كلمة واحدة يقال: هزيء واستهزأ إذا سخر فكل منهما يدل على الآخر(٣) والسخرية والاستهزاء نوع من أنواع الهجاء، أو نوع مماثل للهجاء وهما سلاحان من أسلحة الحرب النفسية.

كما تعتبر السخرية والاستهزاء من الأساليب التي استعملها أقوام الرسل ضد رسلهم وضدَّ المؤمنين. وقد قصَّ علينا القرآن الكريم سخرية أقوامهم منهم، ومن ذلك سخرية قوم نوحٍ وردُّه عليهم كما قال تعالى: ﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ ﴾ [هود: ٣٨].

واستمر الحال كذلك مع بقية الرسل الذين جاؤوا بعد نوح عليه السلام فكان قوم شعيبٍ يستهزؤون به، كما بين ذلك الله تعالى بقوله: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧ ﴾ [هود: ٨٧].

---

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن مناع خليل القطان (٢٩٨) .

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة مادة (سخر) .

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة مادة (هزأ)

فكانوا يقولون ذلك سخرية واستهزاء بشعيب عليه السلام. كما بين القرآن الكريم أن السخرية حدثت مع جميع الرسل وأقوامهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الحجر: ١١]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ ﴾ [الزخرف: ٧].

ومن هنا جاء دور القرآن الكريم في مواجهة أساليب الأعداء في حربهم النفسية وتدعيم مركز المسلمين في مواجهة هذا الأسلوب، فكان القرآن أقوى سلاح معنوي اعتصم به المسلمون في مواجهة صراعهم الرهيب مع الأعداء. حيث واجه من سخر واستهزأ بالرسول ﷺ والمسلمين بسخرية واستهزاء أشد من سخريتهم واستهزائهم، مدافعاً ومواسياً للرسول ﷺ ومقللاً من شأنهم وشأن سخريتهم، وكاشفاً لأحوالهم كما قال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٤].

فكان القرآن الكريم يسخر من الأعداء الساخرين بالرسول ﷺ والمسلمين بأساليب تراعي طبيعة العدو ونوع نفسياتهم، وحينئذ تكون أدق في إصابة الهدف، فتحدد نقطة الضعف التي تسهل منها إصابة العدو، فيشعر أن هذه السخرية صادرة من عليم بطبعه ودخيلة نفسه، مما يجعل للسخرية في نفسه وقعاً بليغاً .

٤. أسلوب إثارة الرعب والترويع: الرعب: الراء والعين والباء أصول ثلاثة: أحدها الخوف والثاني الملء، والآخر القطع. والمقصود هو الأول وهو الخوف والتخويف(١).

وإثارة الرعب: تعني المبالغة في استخدام التكتيك والتهييج بأساليب مختلفة ومنوعة بهدف إدخال شعور الرعب والخوف في نفوس الأعداء وبهدف تحريك الجماهير لعمل مباشر وتحت تأثير انفعالي وقتي ينتج عنه انهزامية في نفوسهم(٢).

وقد جاء ذكر الرعب في كتاب الله الكريم في عدة مواطن، منها قوله تعالى: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥١ ﴾ [آل عمران: ٥١].

(١) انظر معجم مقاييس اللغة مادة (رعب) .

(٢) انظر: استراتيجية الإعلام العربي السيد عليوة (١٧٠) .

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد استخدم المسلمون أسلوب الإرهاب وإثارة الرعب في نفوس الأعداء في بعض المواقف وذلك استجابة لأمر الله القائل: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

كما يدخل في هذا الأسلوب أيضا الشدة و الغلظة على الكفار والإثخان فيهم عند القتال ولذا يقول سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التوبة: ٧٣].

وهذا مما يُدخل الرعب في قلوبهم: فكان الرعب الشديد الذي يلازم المنافقين يعتبر أيضا نوعا من عقاب الله لهم وتعذيبه إياهم في الدنيا، لأن الشعور بالمطاردة عذاب نفسي(١).

وفي مقابل هذا التخويف والرعب، يثبّت الله الإيمان في قلوب عباده المؤمنين ويجعل الخوف من الله تعالى فوق كل شيء فالمؤمن لا يخاف من شيء أو يرهبه شيء، لأنه يعلم أن الله ناصره ومؤيده كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢].

٥ : أسلوب الخداع والتمويه: الخداع في اللغة من خادع على وزن فاعل مأخوذ من التضليل والتموية والحيلة أثناء مواجهة العدو، والمخادعة في قوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [البقرة: ٩] (٢). أي إظهار غير ما في

(١) أسلوب السخرية في القرآن الكريم عبد الحليم حنفي (٣٩١) .

(٢) وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١ / ٤٥) .

النفس وذلك أنهم أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان، وإذا خادعوا المؤمنين فقد خادعوا الله، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾، أي ما تحل عاقبة الخداع إلا بهم(١).

والخداع والتمويه هو أحد أساليب الحرب النفسية وخاصة أثناء حالة الحرب وذلك لتضليل العدو وإرباكه وزعزعة ثقته بقدراته وقياداته.

ومن أشهر أساليبهم في ذلك مسجد الضرار الذي أقامته طائفة من المنافقين بالمدينة، وهم يُخفون من وراء إقامته نيات خبيثة وأهدافا سيئة ومؤامرات دنيئة على الإسلام والمسلمين، وكان من بين تلك المؤامرات الخطيرة، أنها كانت تمهيدا لاستقبال جنود الروم الذين سيأتون لغزو المدينة، فبنوا مسجد الضرار إلى جانب مسجد قباء خادعا للمسلمين عن طريق أعمال الخير، ولكن الله فضحهم وبين نواياهم السيئة لرسوله ﷺ وللمؤمنين فقال مبينا حالهم ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[التوبة: ١٠٧، ١٠٨] وأما المسلمون، فبالرغم من أن الإسلام نفَّر من الغدر والخداع أشد التنفير فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأنفال: ٥٦]، وقوله ﷺ: " **لكل غادر لواء يوم القيامة يُعرف به**"(٢)، ومع هذا التنفير من الغدر والخداع، إلا أن الإسلام جوز الخداع في الحرب لتحقيق الظفر بالعدو. فقد روى البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " **الحرب خدعة**"(٣).

فالإسلام أجاز الخداع في الحرب فقط لتضليل العدو ما دام ذلك لم يشتمل على نقض للعهد أو إخلال بأمان(٤).

---

(١) انظر : القاموس المحيط مادة (خدع) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحيل باب إذا عصب جارية فزعم أنها ماتت برقم (٦٩٦٦). ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب تحريم الغدر برقم (١٧٣٦) .

(٣) أخرجه البخاري في باب الجهاد والسير باب الحرب خدعة برقم (٣٠٢٧)

(٤) انظر: فقه السيرة سيد سابق (٦٥٤) .

٦ : أسلوب التثبيط وتحطيم المعنويات: لقد حمل المسلمون في عهده ﷺ مقومات النصر الحقيقة التي قررها الإسلام في منهجه فأصبحوا لا يؤثر عليهم تثبيط الأعداء ولا إرجاف المرجفين لذا كانت الانتصارات الرائعة في معظم الغزوات والسرايا في عهده ﷺ لأنهم أمة لا تخاف الوهن ولا تتصف به أمة قال الله عنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آلأ عمران: ١٧٣، ١٧٤]. بالإضافة إلى ذلك فإن الإسلام قد أوجب الثبات أثناء الزحف ولقاء العدو فلا مكان مع الإيمان للخوف إلا من الله وحده وقد قال الله تعالى في ذلك مرشدا إلى القوة المعنوية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥] لأن الإسلام يعتمد على الروح المعنوية أكثر مما يعتمد على القوة المادية، لذا فقد نهى الإسلام عن الوهن والدعوة إلى السلم طالما لم تصل الأمة إلى غايتها ولم تحقق هدفها المنشود، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥] ففي هذه الأساليب الربانية ربي القرآن الكريم المسلمين ورفع من معنوياتهم وأوجد في نفوسهم الإيمان العميق فنصروا الله فنصرهم وأتم لهم الفتح والتمكين.

٧ : أسلوب التعجيز والتحدي : التعجيز: هو محاولة إحراج الخصم بطلب شيء يتعذر تحقيقه، أو هو فوق طاقاته وقدراته، وذلك لإظهار الخصم بموقف العاجز أو الكاذب بما يدعيه سعيا من الخصم في تأليب أنصار عدوه عليه. وأما التحدي فهو تحقيق إعجاز عظيم لا يستطيع الخصم الإتيان بمثله أو تكذيبه أو إبطاله[١].

وترجع أهمية التعجيز والتحدي كأسلوب من أساليب الحرب النفسية أن لهما أثرا نفسيا كبيرا على من يوجه ضده أو إليه، لما لهما من أثر في إبهار الخصم وإرباكه وعدم استطاعته رده أو الإتيان بمثله أو إجابته. وفي أغلب الأحيان يستخدم هذا الأسلوب في الأمور المعنوية أكثر منه في الأمور الحسية.

(١) الحرب النفسية في صدر الإسلام د. محمد المخلف (٤٨٨) .

وقد استخدم النبي الكريم ﷺ هذا الأسلوب من التعجيز والتحدي بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، فقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثم بالغ في تحديهم إلى أقل من ذلك مبالغة في التحدي، بأن يأتوا بعشر سور من مثله، فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود: ١٣].

٨ : أسلوب إظهار القوة والتلويح باحتمال استخدامها : من أهم أساليب الحرب النفسية إظهار القوة، وذلك بإظهار أعداد كبيرة في الجنود والأسلحة الفعالة كما فعل النبي ﷺ، في فتح مكة، وهو يستعرض الجيوش أمام أبي سفيان، ففي أثناء فتح مكة احتجز النبي ﷺ أبا سفيان في مضيق الوادي ليشهد العرض العسكري النبوي حيث أمر ﷺ كل فرق الجيش وكتائبه أن يمروا جميعهم أمام زعيم قريش، فأُقيم العرض بصورة دُهش لها أبو سفيان وفزع فزعا شديدا، فكان لتلك العروض المرعبة للجيوش المدججة بالسلاح آثارها العميقة في نفس زعيم قريش وهذا ما أراده ﷺ حينما أمر بإقامة هذا الاستعراض، ليرى زعيم قريش مدى قوة الجيش النبوي عددا وتسليحا وتنظيما وانضباطا وقوة.

وأصل هذا الأمر في كتاب الله تعالى القائل: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وكذلك الاستخدام الفعلي للقوة في العقاب والمبالغة فيه وهذا يظهر جليا في عدة مواضع من كتاب الله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾[الأنفال: ٥٧-٥٩], ويقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٣].

ويقول سبحانه أيضا في هذا المعنى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ [التحريم: ٩].

ففي هذه الحالة تستخدم القوة للدفاع عن النفس أو العقاب بأضعاف أضعاف الجرعة المطلوبة بهدف التنكيل بالخصم وجعله عبرة لمن يعتبر، وإرهاب الآخرين، وصرفهم عن مجرد التفكير في دخولهم في صراع مع هذه الدولة.

وأخيراً

فإني أوصي كل أبناء المسلمين وكل من يهمه أمرهم من قادة وعلماء ومصلحين وباحثين ومربين أن نستمسك جميعا بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وأن يكونا هما الطريق الذي نسير عليه والمنهج الذي نهتدي به والنور الذي نستضيء به في كل شؤون حياتنا الخاصة والعامة، الدينية والدنيوية، في السراء والضراء، في السلم والحرب، وأن تكون واقعا عمليا مطبقا في كل النواحي السياسية، والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، كما أوصي كل من يهمه أمر الإسلام والمسلمين بما يلي:

أولا: الاهتمام بشباب الأمة الإسلامية من خلال التعليم الصحيح لمفاهيم الدين الإسلامي الحنيف، وتصحيح العقائد وتنقيتها من كل ما يشوبها من مظاهر الشرك والبدع، وربطهم بالقدوة والأسوة ، محمد ﷺ وتحريرهم من رق التبعية للشرق والغرب، ليستعلوا بدينهم كما قال تعالى: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين).

ثانيا: الاهتمام بوسائل الإعلام، التي دخلت بيوت كثير من أبناء المسلمين غازية، فأحدثت الدمار الفكري والانحلال الخلقي، فوسائل الأعلام، هي المحك الأساسي في الحرب النفسية التي توجه ضد أي شعب أو ضد أي دولة، والأمة اليوم ترى وتشاهد وهي في عقر دارها ما يحدث في أقاصي الأرض، وتعرض عليها أطياف الملل والنحل والمذاهب والأديان والحضارات. فإذا لم يكن للأمة إعلامها المؤثر ووجودها المعبر، فإن أبناء الأمة سيستقون تعليمهم وثقافتهم من هذه القنوات وهذه الوسائل.

ثالثا: علينا جميعا أن ندرس الأسباب التي جعلت أمة الإسلام اليوم في ركب التخلف والتبعية، ونوجد لها الحلول، لتقوم إلى مسارها الذي سارت عليه قرون عديدة قوية فتية.

رابعا: التركيز على تعليم أبناء الأمة الإسلامية في المدارس والمعاهد والجامعات مفهوم (الحرب النفسية) وأن تكون مادة دراسية تدرس ضمن مناهج التعليم، وخاصة المدارس والمعاهد والكليات العسكرية، وتشجيع البحث العلمي في هذا المجال.

خامسا: الحذر كل الحذر من الإعلام الموجه إلى الدول الإسلامية والذي يرفع من شأن أعـــداء الإسلام ويظهر قوتهم وسيطرتهم على العالم مع التقدم التكنولوجي في شتى المجالات المدنيـــة والعسكرية، وهو يظهر في الوقت نفسه ضعف الأمة الإسلامية في تلك المجالات ليقتـــل فـــي أبنائها روح القوة والفكر والإبداع.

فعلى المسلمين جميعا أن يقفوا صفا واحدا أمام هذا التيار الماكر وهذا الإعلام الغـــادر ولا يستسلموا لهذه المكائد أو تلك المصائد.

نسأل الله القدير بمنه وكرمه أن يزيل عنا الغمة ويكشف عنا الكربة وأن يردنا إليه ردا جميلا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصبحه وسلم